حاجة الإنسان إلى الدين وموقف الإسلام من الأديان

مصدق مجيد*

إسرار أحمد خان**

الدين لغةً واصطلاحًا:

من المعروف بين الناس لبيان حقيقة معينة لأي كلمة أن نبدأ بمعرفة عناصرها العامة ومقوماتها الكلية، قبل البحث عن مميزاتها ومشخصاتها. لذا لا غنى لنا عن الرجوع قبل كل شيء إلى معاجم اللغة العربية، فلنرجع إليها لنستأنس[1] بما فيها من وجوه الاستعمال لهذه المادة.

أ. الدين لغةً:

الدين مفرد، وجمعه أديان، يقول ابن فارس: "الدال والياء والنون أصل واحد، إليه ترجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد والذل"([2]). وله معان متعددة في اللغة:

منها: الملة، ومعنى دين الله، ملة الله التي اختصها.

ومنها: الدأب والعادة: كما يقال: "ما زال ذاك دينه" أي دأبه وعادته.

ومنها: الجزاء والمكافأة: من دنته بفعله دينا أي جزيته. وهو إما مصدر أو اسم لغير المصدر، ومنه "يوم الدين" أي يوم الجزاء أي تجزى بما تفعل. كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «إن الله ليدين للجماء من ذات القرن أي يقتص ويجزي»([3]). وفي حديث ابن عمرو: «لا تسبوا السلطان، فإن كان لا بد فقولوا: اللهم دنهم كما يدينونا»([4])، أي اجزهم بما يعاملونا به.

ومنها: الطاعة والتعبد: من "دنته ودنت له".

ومنها: الذُل: ودانه دينا أي أذله واستعبده. يقال: دنته فدان، ودان إذا ذل. ومنه يقال للمدين: العبد. والمدينة: الأمة المملوكة كأنهما أذلهما العمل.

ومنها: العز: يقال دان الرجل إذا عز.

ومنها: العصيان: يقال: دان الرجل ربه إذا عصى، ويقال: دان إذا اعتاد خيرًا أو شرًا.

ومنها: الداء: دان إذا أصابه الدين.

ومنها: الخدمة: يقال دنت الرجل: خدمته وأحسنت إليه.

ومنها: المحاسبة: من دانه وفي الحديث الشريف: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»([5]) حاسبها.

ومنها: السياية: من دنته أدينه دينا أيسسته، ودينته القوم: وليته سياستهم، ويقال للسائس الديان

ومنها: الملك: من دنته أي ملكته.

---

* الطالب في الدكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

** الأستاذ الكامل في قسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

ومنها: القهر والغلبة والاستعلاء: وبه فسر بعض حديث: «الكيس من دان نفسه»([6]) أي قهرها وغلب عليها واستعلى.

ومنها: الإكراه: من دنت الرجل: حملته على ما يكره.

ومنها: الحال: قال النضر بن شميل: سألت أعرابيا عن شيء فقال: لو لقيتني على دين غير هذه لأخبرتك؛ أي على حال غيرها.

ومنها: الاتباع: وفي حديث الحج: "كانت قريش ومن دان بدينهم"([7]) أي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه واتخذ دينهم له دينا وعبادة.

ومنها: الدين: اسم لما يتعبد الله عز وجل به.

ومنها: القضاء ومنه الديان: يقال للقاضي.

ومنها: السلطان.

ومنها: الورع.

ومنها: الحكم.

ومنها: السيرة.

ومنها: التدبير.

ومنها: التوحيد([8])

نلاحظ بعد ما نقلنا من معاني مختلفة لهذه الكلمة؛ أن المعاجم اللغوية لا تأتي بمفهوم دقيق لكلمة الدين، وإنما يبين لنا الوجوه المتشعبة لمعاني هذه الكلمة، ويتراءى من هذه المعاني المتباعدة والمتناقضة للباحث أنه يجوز استعمال هذه الكلمة في أي معنى شاء؛ ([9])فهي تأتي في معاني الذُل والعز، والطاعة والعصيان، والاتباع والإكراه، والملك والخدمة، وتأتي في معنى الحال، والتدبير، والورع، والجزاء والحساب، والخضوع ... إلى آخر ما أوردت هذه المعاجم والقواميس من استعمالات هذه الكلمة. وقد حصر المودودي هذه المعاني إلى أربعة معان؛ أولها: القهر والغلبة من ذي سلطة عليا. وثانيها: الإطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذي السلطة. وثالثها: الحدود والقوانين والطريقة التي تتبع. ورابعها: المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب([10])، بينما أرجع دراز هذه المعاني إلى ثلاثة، ثم حصرها أخيرًا في معنى واحد وهو لزوم الانقياد. كما ذكر ابن فارس.([11])

وبيان ما قال دراز أن كلمة "الدين" تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: "دانه يدينه"، وتارة من فعل متعد باللام: "دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء: "دان به". وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة. فإذا قلنا: "دانه يدينه" عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه. وإذا قلنا: "دان له" أردنا أنه أطاعه، وخضع له. فالدين هنا هو الخضوع، والطاعة، والعبادة، والورع. وكلمة "الدين لله" يصح المعنيان من معانيها، وهما: الحكم لله، أو الخضوع له. واتضح أن المعنى الثاني ملازم للأول، ومطاوع له. "دانه فدان له" أي قهره على الطاعة، فخضع وأطاع. وإذا قلنا: "دان بالشيء" كان معناه أنه اتخذه دينًا ومذهبًا أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به.([12])

فجملة القول أن هذه المعاني الكثيرة التي تدخل تحت مفهوم الدين، لها ارتباط بعضها ببعض، ويمكن حصرها في ثلاثة وجوه حسب الاشتقاقات للكلمة، وبتعديتها إما بنفس الكلمة أو بالباء أو باللام؛ فإذا عديت بنفسها فتأتي في معنى الملك والقضاء والسلطان والمحاسبة والجزاء والأمر والإكراه والغلبة والاستعلاء وما في معناها، وإذا عديت باللام شملت معاني الطاعة والخضوع والعبادة والذل والانقياد وما في معناها، وإذا عديت بالباء فتحمل معنى العادة والشأن والملة والطريقة والسيرة ومافي معناها. ويلاحظ أن الأول مرتبط بالثاني؛ فقولهم: "دانه فدان له": أي قهره فخضع له وأطاع وذل، والثالث مرتبط بما قبله لأن من دان بالشيء يكون قد خضع له وانقاد والتزم طاعته واتباعه.([13]) وعن كيفية هذا التلازم يقول دراز: إن كلمة الدين تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فهو من جهةٍ خضوع وانقياد، ومن جهةٍ أخرى أمر وسلطان وحكم وإلزام، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين، فهي الدستور المنظم لتلك العلاقة والمظهر الذي يعبر عنها. والمادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد، فإن الاستعمال الأول: الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني: هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث: هو المبدأ الذي تلتزم الانقياد له.([14])

ب. الدين اصطلاحًا:

بعدما عرفنا معنى كلمة الدين لغةً واشتقاقًا؛ فالأمر يقتضي أن نعرف معناها في الاصطلاح، ولكن ليس من السهل وضع حد معين لمعنى الدين، بسبب الأشكال المختلفة والألوان المتباينة من الأديان، وانشعابها إلى شعب كثيرة من الملل والنحل، والطوائف والفرق، ولعدم تثبيتها على حالة واحدة. فقد نجد اختلافًا كبيرًا بين العلماء في وضع حد علمي مقبول بين الجميع "وربما لا يوجد موضوع في العالم اختلفت في تحديده الآراء كهذا الموضوع: موضوع ماهية الدين وتعريفه، حتى صار من المستحيل وضع إطار يتفق عليه لصورة يجمع على أنها تمثل الدين. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يقوم به كاتب، هو أن يكتب رأيه بوضوح فيما يعنيه من "الدين"، فإذا فعل ذلك، صار من المعروف ما قصد صاحبه منه"([15]). وأما تعريفات الدين عند المسلمين فإنها وإن اختلفت في الألفاظ فهي متحدة في معناها؛ وأما عند غيرهم فقد اختلفت آراؤهم في تعريفه، تبعًا لاختلاف مجالاتهم في الاختصاص، وبسبب كثرة الفرق والمذاهب([16]).

تعريفات الدين عند العلماء المسلمين:

منها: الدين "وضع إلهي ينساق به الناس إلى النعيم الدائم"([17]).

ومنها: هو "وضع إلهي سائق لأولي الألباب إلى الخيرات باختيارهم المحمود"([18]). وقريب منه ما قال عبد العزيز البخاري: هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات والرضى المرضي"([19]). وكذلك قال الهيتمي: هو "وضع إلهي سائق لأولي الألباب باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات"([20]). وكذلك قال الخطيب الشربيني: هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة بسبب اختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات"([21]).

ومنها: هو "وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله ﷺ"([22])

ومنها: هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، قلبيا كان أو قالبيا"([23])

ومنها: هو "وضع إلهي يرشد إلى الحق من الاعتقادات والخير في السلوك"([24])

الدين في هذه التعريفات ما هو موضوع من الله للمكلفين من أصحاب العقول لسعادتهم في الدنيا والآخرة، وذلك بقيد "وضع إلهي" في جميع التعاريف، ثم بالقيود الأخرى كمثل "ينساق به الناس إلى النعيم الدائم، وباختيارهم المحمود"، يلاحظ أنها تخصص الدين بالدين المنَزَّل من الله وهو الإسلام؛ إذ هو دين جميع المرسلين من لدن آدم عليه السلام ونوح عليه السلام إلى خاتم النبيين ﷺ، وهي تعريفات خاصة بالدين الإسلامي، وليست بتعريفات لمطلق الدين. ولا ينبغي المؤاخذة بهم على أنهم ما أنصفوا في تحديد مفهوم الدين، وإنما جل همهم هو تعريف دين الإسلام، وليس تعريف الدين عامةً.( )

أما التعريفات العامة فمنها تعريف ابن عاشور، وهو يشمل للأديان الأخرى، يقول: "حقيقته –الدين– في الأصل الجزاء، ثم صار حقيقة عرفية يطلق على مجموع عقائد، وأعمال يلقّنها رسولٌ من عند الله، ويَعِدُ العاملين بها بالنعيم، والمعرضين عنها بالعقاب. ثم أطلق على ما يشبه ذلك مما يضعه بعض زعماء الناس من تلقاء عقله فتلتزمه طائفة من الناس".([25])

أما الدراز فقد ذكر تعريفين للدين؛ تعريف من حيث هو حالة نفسية، وتعريف من حيث هو حقيقة خارجية. فالدين عنده من حيث هو حالة نفسية: "هو الاعتقاد بوجود ذات–أو ذوات –غيبية–علوية، لها شعور واختيار، ولهاتصرف وتدبير للشؤن التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد". ومن حيث أنه حقيقة خارجية فالدين "هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها"([26])

ليس هناك فرق كبير بين التعريف ابن عاشور وتعريف الدراز الثاني إلا في التعبير وزيادة الوعد بالنعيم والعقاب عند ابن عاشور، وليس من غرضه أن يعرف الدين تعريفًا اصطلاحيًا، بل ذكر مفهوم الدين بدون تعرضه اصطلاحًا.

تعريفات الدين عند غير المسلمين:

منها ما قال "سيسرون"([27]) في كتابه عن القوانين: "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله".([28])

ومنها ما قال "كانت"([29]) في كتابه "الدين في حدود العقل": "الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية "([30])

ومنها تعريف الأب "شاتل"([31]) في كتابه "قانون الإنسانية": "الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق وواجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه".([32])

ومنها تعريف هربرت سبنسر([33])، في خاتمة كتاب "المبادئ الأولية": "الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية".([34])

ومنها تعريف تايلور([35])، في كتاب "المدنيات البدائية": "الدين هو الإيمان بكائنات روحية"([36])

ومنها تعريف ماكس ميلر([37])، في كتاب "نشأه الدين ونموه": "الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائي، هو حب الله"([38])

ومنها تعريف إميل برنوف([39])، في "علم الديانات": "الدين هو العبادة، والعبادة عمل مزدوج: فهي عمل عقلي به يعترف الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي أو انعطاف محبة، يتوجه به غلى رحمة تلك القوة".([40])

ومنها تعريف ريفيل([41])، في "مقدمة تاريخ الأديان": "الدين هو توجيه الإنسان سلوكه، وفقًا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية، يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها".([42])

ومنها تعريف جويوه([43])، في كتاب "لادينية المستقبل": "الديانة هو تصور المجموعات العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون"([44]).

ومنها تعريف ميشيل مابير، في كتاب "تعاليم خلقية ودينية": "الدين هو جملة العقائد والوصايا التي يجب ان توجهنا في سلوكنا مع الله، ومع الناس، وفي حق أنفسنا".([45])

ومنها تعريف سلفان بريسيه، في كتاب "العلم والديانات": "الدين هو الجانب المثالي في الحياة الإنسانية".([46])

ومنها تعريف سالومون رجناك([47])، في "التاريخ العام للديانات": "الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزًا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا".([48])

ومنها تعريف إيميل دوركايم،([49]) في "الصور الأولية للحياة الدينية": "الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (المعزولة المحرمة) اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة".([50])

يلاحظ في هذه التعريفات بأنها تضمنت النقائص كالتعاريف السابقة، وترجع في الأساس إلى النظرة التخصصية التي انطلق منها كل من هؤلاء العلماء، على سبيل المثال أن بعضهم عبروا عنه بأرقى صوره عرفتها الفلسفة وذلك في تعريف سبنسر، ففي تعريفه حصر الدين فيما يعتقده الفلاسفة وغيرهم من العلماء الذين تأثروا بفلسفتهم وهي فكرة اللانهائي التي تخرج منها بقية العقائد التي لا تقوم على هذا الأساس، ومن ناهية أخرى ضيقها ماكس ميلر في تعرفة حين عرفه بأن الدين "الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائي، هو حب الله" هذه العبارة لا تطبق إلا على الأديان التي تفصل بين العقيدة والعقل فصلاً تامًا، والمقصود بها هنا الديانات المسيحية، ومن جهة نرى البعض أنهم لا يكتفون بحذف فكرة الإله بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بتجريدها من الفكرة الألوهية بكل معانيها، كتعريف سالمونرجناك وإيميل دوركايم. بسبب كل هذا نستطيع ان نقول أن الفكر الغربي أو الفكر الإنسانية بصفة عامة ما استطاع أن يصل إلى مفهومه بشكل دقيق إلى حد الآن، وكما يظهر من هذه التعريفات بأنها لم تكن نتيجة دراسية علمية استقرائية، بل أن أصحاب هذه التعريفات عرفوها حسب تخصصاتهم ومذاهبهم.([51])

التعريف المختار:

التعريف للدين الذي يطابق مفهوم القرآن والتعريف المختار عند الباحث فهو ما أخذت من تعريف الأستاذ دراز ، الذي قدمه لنا بعد استعراض دقيق للتعريفات السابقة، وقام بتحليل تعريفه تحليلًا مقنعًا([52]). وقد اخترت هذا التعريف لكونه دقيقًا وشاملاً للأديان بكل أنواعها، وجمعت تعريفه الأول والثاني في تعريف واحد، فأقول: الدين "عبارة عن جملة النواميس النظرية أو العقائد التي تحدد صفات ذات إلهية غيبية وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادة لتلك الذات".

حاجة الإنسان إلى الدين:

يقول الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: 47]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:36]، وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]. في هذه الآيات دلالة واضحة على أن الإنسانية ما انفكت عن رسل يدعونهم إلى الله، ويشرعون لهم الشرائع التي يتعبدون لله بها. والمراد بذلك أن المجتمعات البشرية ما خلت قط من دين، تقضي حياتها وفق ما جاء بها هذا الدين؛ من التعاليم والأحكام والضوابط لضبط حياتها وفقه. وهذا ما أكده علم الآثار والبحوث الاجتماعية؛ كما أشرت إليه في الفصل الأول التمهيدي. ولذا عرف البعض من الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان متدين. وهو عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني، إنما يكمن في أعماق كل قلب بشرى، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء[53].

ومن جهة أخرى إنه فطرة إنسانية وضرورة اجتماعية لصلاح الفرد والمجتمع، لكونه قوة وحيدة على وجه الأرض لكفالة احترام القانون، ويقول القرضاوي عن عدم صلاحية القانون الإنساني على تنظيم شؤون الجماعة وتحديد علاقاتها وحده، بان سلطة القانون على الظاهر لا على الباطن، ودائرته في العلاقات العامة لا في الشئون الخاصة. ومهمته أن يعاقب المسيء دون أن يستطيع مكافأة المحسن، والتحايل على القوانين ميسور، وتطويع نصوصها للأهواء مستطاع، والهرب من عقوبتها ليس بالشيء العسير، وإذا كان القانون عاجزاً عن أن يكون زاجراً عن الشر ورادعاً عن الجريمة والفساد، فإنه لأعجز وأعجز عن أن يكون دافعاً إلى خير أو باعثاً على حق أو حافزاً على عمل صالح. ومهما افترضنا في القانون الإنساني من مطابقة العدل والحق، فإنه على كل حال ليس له قوة ذاتية وإنما قوته في "الحكومة" القائمة على رعايته وتنفيذه.([54])

ويقول السيد جمال الدين الأفغاني مشيرًا إلى قصور القانون الإنساني؛ إنها لا تكفي في إلزام النفس حدود العدل، فيقول: "ليس بخاف أن قوة الحكومة إنما تأتي على كف العدوان الظاهر، ورفع الظلم البين، أما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح، ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات، فمن أين للحكومة أن تستطيع دفعه؟ وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل، وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره؟.. على أن الحاكم وأعوانه قد يكونون، بل كثيراً ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات، فأي وازع يأخذ على أيدي أصحاب السلطة، ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم؟ وأي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المسكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم؟ لا جرم قد يكون الحاكم في خفيِّ أمره – رئيس السارقين، وفي جليِّ حاله قائد الناهبين، وأعوانه آلات يستعملها في الجور، وأدوات يستعين بها على الفساد والشرّ، فيعطّلون من حقوق عباد اللّه، ويهتكون من أعراضهم، ويغنمون من أموالهم، يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء، وينقشون قصورهم بمُهَج الفقراء، وبالجملة: يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد، ودمار البلاد. ".([55])

وفي هذا الصدد يقول دراز: "ولا قيام للحياة في الجماعة إلا بالتعاون بين أعضائها، وهذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته، ويحدد حقوقه وواجباته. وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع، يكفل مهابته في النفوس، ويمنع انتهاك حرماته". الإنسان يساق من باطنه ونقرر أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين، أو تدانيها في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع، واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ."([56])

"والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع في يده ولا في عنقه. ولا يجري في دمه ولا في عضلاته ولا في أعصابه، وإنما هو معنى إنساني روحاني اسمه الفكرة والعقيدة، ولقد ضل قوم قلبوا هذا الوضع، وحسبوا أن الفكر والضمير لا يؤثران في الحياة المادية والاقتصادية بل يتأثران بها."([57])

"أجل إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة تحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية. لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون."([58])

"ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء وعوضاً عن التربية والتهذيب الديني والخلقي، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير، ولابد في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض لا إلى الشر والفساد ذلكم الرقيب هو "العقيدة والإيمان" ([59])

وهذا هو الحال للفلسفات الأخلاقية، فإنها لا تستطيع توجيه الجماهير أيضًا، يقول القرضاوي: " وأما الفلسفة الأخلاقية فلا يمكنها توجيه الجماهير الغفيرة من الناس، إنها لا تستطيع إلا توجيه أفراد معدودين، وبتأثير محدود لا ينفذ إلى الأعماق كما ينفذ الدين.ثم أي فلسفة أخلاقية تلك التي يتبعها الناس، وكل فيلسوف له مذهب، وكل مذهب له مقياس؟ أهي فلسفة المنفعة التي نادى بها «وليم جيمس» وغيره؟ أم فلسفة اللذة التي نادى بها «أريستيب» و «أبيقور»؟ أم فلسفة القوة التي نادى بها «نيتشة» أم فلسفة الواجب التي دعا إليها «كانت»؟وما الجزاء الذي يناله المرء على استمساكه بفضائل أخلاقية معينة؟ أهو جزاء يقنع العقل ويرضي النفس، أم هو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا؟ما جزاء الجندي المجهول الذي يعمل لخدمة المجموع دون أن يراه أحد أو يشعر به أو يكافئه؟ما هو جزاء المضحي في سبيل أمته وأسرته، يقاتل دفاعاً فيقتل ظلماً فيموت؟ إن راحة الضمير هنا -التي يتغنى بها الأخلاقيون- ليس لها وجود.ومن جانب آخر، ما جزاه من عاش طول عمره يظلم ويطغى، ويعب من الشهوات الحرام دون أن يشعر بتأنيب الضمير، لأن ضميره قد مات؟ إنه لا يحل هذه العقدة إلا الإيمان، إلا الدين".([60])

والعمل الذي يقوم به الدين للمجموعة البشرية لا تتوقف عند التأديب والتهذيب، وتصحيح المعاملات، وتطبيق قواعد العدالة، ومقاومةالفوضى والفساد فحسب، بل إنه يملك وظيفة إيجابية أعمق الأثر في كيان المجتمع البشري. يقول دراز: "إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند هذا الحد. وليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك، وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل، ومقاومة الفوضى والفساد فحسب، بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة. ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة. بل إن هذه العلائق مجتمعة مهما يكن أثرها الظاهري من كف الأذى، وبذل المعروف المتبادل، تظل روابط سطحية تضم الأفراد، كما تضم الأعواد في ضغث، ولا تزال تتخللها الفجوات والثغرات والحواجز النفسية، حتى تشدها رابطة الأخوة في العقيدة والمشاركة في المثل العليا، فهناك تعود الكثرة وحدة، وتصبح النفوس كالمرايا المتقابلة، تنعكس صور بعضها في بعض، بل كثيراً ما تستغني هذه الوحدة الروحية عن سائر الوحدات الأخرى، فتنعقد بها أقوى الوشائج وأدومها، بين أفراد اختلفت أجناسهم، وتباينت لهجاتهم، وتباعدت ديارهم وتفاوتت مصالحهم، وكثيراً ما نرى في الدول التي تقوم على قاعدة المصالح المشتركة في

الوطن بين مِلل مختلفة تضطر إلى الاستنجاد بما في هذه الأديان كلها من مبدأ التعاون على الخير والتناصر على دفع عدوان المغيرين – ولذلك قيل بحق: "إن الوطنية التي لا تعتمد على باعثة من الخلق والدين إنما هي حصن متداع يوشك أن ينهار."

وجملة القول أن الأديان تحل من الجماعات محل القلب من الجسد".([61]) فكما لا يمكن أن يعيش الإنسان بدون القلب لا يمكن أن يعيش المجتمع من عير أن يتدين بدين. ومع ذلك"وهو عنصر ضروري لتزكية الروح والنفس وتهذيب قوة الوجدان الشعور، فالعواطف النبيلة من الحب والشوق ، والتواضع ، والحياء وغيرها ، إذا لم تجد ضالتها المنشودة في الأشياء ولا في الناس، وإذا جفت ينابيعها في العالم المتبدل المتبدد ، وجدت في موضوع العقيدة مجالاً لا تُدرك غايته، ومنهلاً لا ينفد معينه. وهو عنصر ضروري لتكتمل قوة الإرادة بما يمدها بأعظم البواعث والدوافع ويدرّعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط."([62])

وقد اعترف بحاجة الإنسان إلى الدين كل من رجال الدين، وأقطاب العلم وزعماء السياسة، بحيث أي عمل لا يؤسس على بنيان من تقوى الله ورضوانه لا يبقى في العالم. وهذا هو روبرت ميلكان العالم الطبيعي الأمريكي يقول: «إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق، لقد كان زوال هذا الإيمان سببًا للحرب العامة، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة، بل يصير العلم نكبة على البشرية ."و يقول الدكتور ويلسون، رئيس الولايات المتحدة السابق: «وخلاصة المسألة أن حضارتنا إن لم تنقذ بالمعنويات، فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها، وإنما لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها، ذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ومنظماتنا السياسية وأصحاب رؤوس أموالنا.وكل فرد خائف من الله محب لبلده". ويقول شارلز. آ. ألورد : "العلم بلا دين عدم ".ثم قال: إذا كان العلم مفيدًا للإنسان ثقافيًا واجتماعيًا، فلن يقدر على ذلك دون معاون الدين. فالدين محتاج إلى العلم، لتتعلم منه خير الوسائل الموصلة إلى غاياته، والعلم في حاجة إلى الدين، لكي يستعمل الناس حقائقه القوية استعمالا صحيحًا، فالدين خير الوسائل لحمل الناس على الحركة على هذه الطريقة([63])." واما ألبرت أينشتاين فقد وصف العلم بلا دين عرجًا والدين بلا علم عميًا.([64])يقول"جواهر لال نهرو" (أول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال) وهو يتحدث في أحد المؤتمرات: "إنني سياسي، ولا أجد وقتا كثيرا للإمعان والتفكير. ولكنني أضطر في بعض الأحيان أن أفكر: ما حقيقة هذه الدنيا؟ وماذا نقوم به؟ ومن نحن؟ إنني على يقين كامل أن هناك قوى تصوغ أقدارنا"([65]) وقد وجه البروفيسور "مايكل بريتشر"-الذى قام بترجمة حياته- السؤال إلى نهرو في لقاء له معه بنيودلهي في 13 يونيه من عام 1956: ما المقومات اللازمة لبيئة صالحة طبقا لفلسفتكم الأساسية في الحياة؟ فأجاب قائلا: "انني أؤمن ببعض المعايير، إنما "المعايير الأخلاقية"، ولابد لكل فرد وبيئة من التمسك بها، وعند القضاء على هذه المعايير لا يمكنك الوصول الى نتائج مفيدة، رغم إحراز التقدم المادي الهائل، وأما "سبل" إقامة هذه المعايير والاحتفاظ بها في المجتمع، فإنني لا أعرفها، وهناك نظرة دينية لإقامة هذه المعايير، ولكنها تبدو إلي ضيقة جدًا مع كل طقوسها وطرقها، فأنا أهتم اهتمامًا كبيرًا بالقيم الأخلاقية الروحية، بعيدًا عن الدين، ولكنني لا أعرف كيف يمكن الحفاظ على هذه القيم في الحياة الجديدة"([66]).هذا الجواب يدل على أن هناك فراغ واضح، يواجهه الإنسان بشدة في مسير حياته، وإن لم يعرف الطريق الذي يملأ هذا الفراغ، فإنه بلا ريب الدين؛ بما أثبتنا آنفًا.

يقول القرضاوي أن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة أساسية أصلية، تتصل بجوهر الحياة، وسر الوجود، وأعمق أعماق الإنسان. وليست حاجة ثانوية ولا هامشية، ووجه ذلك حاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في

الوجود، كحاجته إلى معرفة نفسه ومعرفة الوجود الكبير من حوله، أي إلى معرفة الجواب عن الأسئلة التي شغلت بها فلسفات البشر: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟" أسئلة تلح على الإنسان في كل عصر وتتطلب الجواب الذي يشفي الغليل ويطمئن به القلب، ولا سبيل إلى الجواب الشافي إلا باللجوء إلى الدين إلى العقيدة الدينية الصافية. فالدين هو الذي يخبره عن وجوده ووجود الكائنات، وهو الذي يرتبط الإنسان بربه وبمخلوقه، وهو الذي يعلمه عن مصيره في الحياة وبعد الموت، وهو الذي يعرفه لماذا خلق؟ ولماذا كرم وفضل؟ بهذا يدرك الإنسان سر وجوده، ويستبين مهمته في الحياة، بينها له بارئ الكون، وواهب الحياة، وخالق الإنسان([67])

وفي نفس الوقت يحتاج الإنسان إلى الدين لأنه حاجة الوجدان؛ لأنه مركب من العقل والوجدان والروح، ومنها شكلت طبيعته ونطقت بها جبلته، "فالإنسان بفطرته لا يقنعه علم ولا ثقافة، ولا يشبع نهمته فن ولا أدب، ولا يملأ فراغ نفسه زينة أو متعة، ويظل قلق النفس، جوعان الروح، ظمآن الفطرة، وشاعرا بالفراغ والنقص، حتى يجد العقيدة في الله فيطمئن بعد قلق، ويسكن بعد اضطراب، ويأمن بعد خوف، ويحس بأنه وجد نفسه."([68])

ذكر صاحب الرواية "رحمة للعالمين" حكايةً لأرنست جونز([69]) ، ذهب لعيادته مرة، وسأله عن حالته، فأجابه الأستاذ أن مشكلته: "الدين .. لا شك أنه الدين.. إنه أخطر فيروس يمكنه أن يفتك بالنفس الإنسانية.. إن الدين هو أيدز النفس وسرطانها .. ولذلك لا سبيل للنجاة لمن ابتلي به ..

لقد كتب صديقي الفيلسوف "أجوست سياته" في كتابه "فلسفة الأديان" يقول: "لماذا أنا متدين؟ إني لم أحرك شفتي بهذا السؤال مرة، إلا وأراني مسوقا للإجابة عليه بهذا الجواب، وهو: أنا متدين، لأني لا أستطيع خلاف ذلك، لأن التدين لازم معنوي من لوازم ذاتي. يقولون لي: ذلك أثر من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج، فأقول لهم: قد اعترضت على نفسي كثيرا بهذا الاعتراض نفسه، ولكني وجدته يقهقر المسألة ولا يحلها"([70])

وكذلك يحتاج الإنسان إلى قوةتفتضيها حياته، إلى قوة "آماله فيها، وآلامه بها". وإلى "ركن شديد يأوي إليه، وإلى سند متين يعتمد عليه، إذا ألمت به الشدائد، وحلت بساحته الكوارث، ففقد ما يحب، أو واجه ما يكره، أو خاب ما يرجو، أو وقع به ما يخاف، هنا تأتي العقيدة الدينية، فتمنحه القوة عند الضعف، والأمل في ساعة اليأس، والرجاء في لحظة الخوف، والصبر في البأساء والضراء، وحين البأس."([71]) فالدين هو الركن الركين الذي يهب الإنسان الصحة النفسية والقوة الروحية، "فتشيع في كيانه البهجة، ويغمر روحه التفاؤل، وتتسع في عينه دائرة الوجود، وينظر إلى الحياة بمنظار مشرق، ويهون عليه ما يلقى وما يكابد في حياته القصيرة الفانية، ويجد من العزاء والرجاء والسكينة ما لا يقوم مقامه ولا يغني عنه علم ولا فلسفة ولا مال ولا ولد ولا ملك المشرق والمغرب([72])."

والذي يعيش بغير دين وإيمان، فيأوي إليه في حالة اضطراره، "إذا ادلهمت الخطوب، وتتابعت الكروب، والتبست على الناس المسالك والدروب، يستفتيه فيفتيه، ويسأله فيجيبه، ويستعينه فيعينه، ويمنحه المدد الذي لا يغلب، والعون الذي لا ينقطع الذي يعيش بغير هذا الإيمان يعيش مضطرب النفس، متحير الفكر، مبلبل الاتجاه، ممزق الكيان، شبهه بعض فلاسفة الأخلاق بحال "راقاياك" التعس."([73])

يقول المؤرخ الفيلسوف "آرنولد توينبى : " هو يقول: "الدين إحدى الملكات الضرورية الطبيعية البشرية، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحي، تضطره إلى التماس العزاء الديني على موائد لا تملك منه شيئا."

."ويقول الدكتور "كارل بانج" في كتابه "الإنسان العصري يبحث عن نفسه" : "إن كل المرضى الذين استشاروني خلال الثلاثين سنة الماضية، من كل أنحاء العالم، كان سبب مرضهم هو نقص إيمانهم، وتزعزع عقائدهم و لم ينالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا إيمانهم."

ويقول "وليم جيمس" فيلسوف المنفعة والذرائع: "إن أعظم علاج للقلق — ولا شك — هو الإيمان."

ويقول الدكتور "بريال": "إن المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا."

ويقول "ديل كارنيجي" في كتابه "دع القلق وابدأ الحياة" :"إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين، كفيلان بأن يقهرا القلق، والتوتر العصبي، وأن يشفيا من هذه الأمراض([74])."

وهناك كثير من العلماء والفلاسفة الذين يرون الدين حقًا ومفيدًا لإصلاح البشر، وضروريًا لا بد منه، والذين أنكروا الدين فهم قلة القلائل لا يلتفت إليهم، ودلائلهم غير مستندة، وهي فرضيات أساسها نظريات من مثل نشئ الإنسان من الحيوان بالتطور، ونشئ الأديان من الطاغوت، وليس عندهم أي برهان لإثباتها بل هي مجرد الخيال، وقد ثبت بطلان هذه النظريات عند معظم العلماء والفلاسفة في الزمن الأخير.([75])

موقف الإسلام من الأديان الأخرى:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، لذا نذكر هنا ما ذكره عن الأديان الأخرى، فالإسلام بالمعنى القرآني، هو الدعوة الخالصة إلى الإيمان والخضوع والانقياد والإذعان والامتثال لله وحده ولأحكامه، دعا إليه الأنبياء والمرسلين جمعاء من غير استثناء. فالإسلام اسم لدين جاء به الأنبياء والرسل من عند الله، ودعوا إليه الناس لسعادتهم في الدنيا والآخرة، وهتفوا به، وانتسب إليه كل من أتباعهم. فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه:﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:72]،وإبراهيم ويعقوب يوصيا بنيهما: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:132]، وأبناء يعقوب يجيبون أباهم: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: 133]، وقال الله ﷻ حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: 128]، وموسىعليه السلام يقول لقومه:﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:84]، والحواريون يقول لعيسى عليه السلام:﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:52]، وإن فريقًا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن فقالوا: ﴿ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[القصص: 53]، وبه أمر الله ﷻ الناس جميعًا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]. فكل الأنبياء وكل أتباعهم الصادقين سماهم القرآن الكريم باسم واحد: ﴿الْمُسْلِمُونَ﴾، وجمع القرآن دين الأنبياء في آية: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

ومن هذه الآيات المذكورة القليلة من الكثرة يتبين أن أنبياء الله ورسله أتوا بدين واحدٍ إلهي ، هدفه سعادة البشرية في الدنيا والآخرة، وهذا الدين الإلهي سماه الله ﷻ الإسلام، وإنما الاختلاف في الشرائع بحسب طبيعة كل أمة وما يناسبها قال سبحانه :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

يقول ابن كثير في تفسير هذا الآية: فيه "إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « نَحْنُ مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ»([76]) يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: 25] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: 36] ، وأما الشرائع فمختلفة فيالأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرامًا ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قوله:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]يقول: سبيلا وسنة، والسنن مختلفة: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل."([77])

فالإسلام إذن شعار ورمز يدور فى القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى أن جاء القرآنوجمع القضايا كلها فى قضية واحدة، وجهها إلى البشرية جمعاء، وبين لهم فيها أنه ما شرع لهم دينًا جديدًا، وإنما هو دين الأنبياءكلهم الذين جاءوا من قبل. ووإلى أشار النبي الخاتم محمد ﷺمن خلال مثال نطق به فقال ﷺ: «إِنَّمَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».([78]) ثم نرى القرآن ـــ بعد أن يذكر قصص الأنبياء واستجابة أتباعهم ـــ ينظمهم -الأنبياء - فى سلك واحد، ويجعلهم جميعًا أمةً واحدةً، لها إله واحد، كما لها شريعة واحدة﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].([79])فالإسلام بهذا المعنى لا يختلف عن الأديان الأخرى، وإنما يكوِّن معها وحدة منسجمة، متآلفة لا تناقض بينها ولا تضارب.

يقول دراز" :الإسلام في لغة القرآن ليس اسمًا لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل اتباع الأنبياء"([80])

فعند دراز للدين معنيين، معنى يشترك فيه الأنبياء والمرسلون أجمعون، ومعنى تختلف فيه الأديان، والمعنى المشترك هو التوجه الكاملوالدعوة الخالصة إلى الله رب العالمين فى خضوع خالصلا يشوبه شرك، والانقياد والإذعان لله وحده ولأحكامه،وفى إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أى لسان وفى أى زمان أو مكان، دون تمرد على حكمه، ودون تمييز شخصى أو طائفى أو عنصرى بين كتاب وكتاب من كتبه، أو بين رسول ورسول من رسله، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].([81])

والذي نريد هنا في هذا البحث هو الإسلام كمصطلح،الإسلام الذي له في عرف الناس مدلول محدد، ومفهوم معين، وهومجموعة الأحكام العملية، و الشرائع والتعاليم التى جاء بها محمد ﷺ أو التي استنبطت مما جاء به.([82]) وهناك نحتاج إلى معرفة موقف الإسلام من الأديان الأخرى.

قسم دراز علاقة الإسلام بالأديان الأخرى إلى قسمين أو كما سماه إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: "وهي ــ في صورتها الأولى ــ لم تبعد عن منبعها، ولم يتغير فيها شئ بفعل الزمان ولا بيد الإنسان.

والمرحلة الثانية: في علاقته بها بعد أن طال عليها الأمد، وطرأ عليها شئ من التطور. أما في المرحلة الأولى: فالقرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقا ومؤكد لما قبله: فالإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة."([83])

فنرى في هذه المرحلة الأولى أن الإسلام لا يختلف في الجوهر والماهية وجذرالأصول والمبادئ العامة، التي تدعوا إلى التوحيد الإلهي، والإيمان باليوم الآخر، والمطالبة بالتزام الأوامر الإلهية، والقواعد الأخلاقية، والإمساك عن الفواحش والقبائح، ومقاومة المنكرات والحرص على توفير الخير والسعادة للبشرية من غير استثناء. فنري القرآن يعلمنا أن كل رسول وكل كتاب قد جاء مصدقًا ومؤكدًا لما قبله: فالإنجيل يصدق ويؤيد للتوراة، والقرآن يصدق ويؤيد للإنجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب. يقول الله ﷻ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ*﴾ [المائدة: 46-48].

في هذا الآيات المباركة نرى–أولًا- التقرير للكتب التي أنزلت من قبل ثم أنزل القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب"، أي أنزل بتصديق ما قبله من كتب اللهﷻ التي أنزلها إلى أنبيائه، "ومهيمنًا عليه". يقول الطبري: "يقول الله أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها."([84]) يقول الجصاص: "والمعنى فيه، أنه أمين عليه ينقل إلينا ما في الكتب المتقدمة على حقيقته من غير تحريف ولا زيادة ولا نقصان لأن الأمين على الشيء مصدق عليه وكذلك الشاهد."([85]) ويقول السمرقندي: "﴿مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ﴾ يعني: موافقاً للتوراة، والإنجيل، والزبور، في التوحيد وفي بعض الشرائع."([86]) ويقول الرازي: " وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبدا، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبدا".([87]) ويقول ابن عاشور: "وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض مافي الشرائع مقرر له من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق، أي محقق ومقرر، وهو أيضا مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة."([88]) ويقول الطنطاوي: " والمعنى: لقد أنزلنا التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وأنزلنا إليك يا محمد الكتابالجامع لكل ما اشتملت عليه الكتب السماوية من هدايات وقد أنزلناه ملتبسا بالحق الذي لا يحوم حوله باطل، وجعلناه مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ أي: مؤيدا لما في تلك الكتب التي تقدمته: من دعوة إلى عبادة الله وحده، وإلى التمسك بمكارم الأخلاق. وجعلناه كذلك «مهيمنًا عليها» أي: أمينا ورقيبا وحاكما عليها".([89])

فجملة القول أن علاقة الإسلام في هذه المرحلة بينه وبين الأديان الأخرى علاقة تصديق وتأكيد وتحكيم كلي وكامل.([90])

وأما في المرحلة الثانية بعد أن طال الأمد على هذه الشرائع، وهي المرحلة التي نعيش فيها، فلا يعترفها الإسلام، وإنما يعارضها معارضة تامة ويخالفها مخالفة باتًا، لما وقع فيها من التحريف والتغيير والتبديل بسبب التأويلات الضالة والمضلة، أوّلها رؤساء هذه الأديان والكهنة القائمين عليها. لمصالحهم الدنيوية المبنية على هوى النفس؛ فدور الإسلام هنادور المصحح للأخطاء والنافي للتحريف، والمزيل للزوائد، بل دور الناسخ لكل دين سابق، سواء أكان صحيحاً أم مبدلاً. ومن هنا نرى مظهر الصفة الثانية وهي صفة الهيمنة كما أعلن أنه جاء أيضا "مهيمنًا" على تلك الكتب [المائدة: 48]، حارسًا أمينًا عليها. يقول دراز: " ومن قضية الحراسة الأمينة على تلك الكتب ألا يكتفى الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه – فوق ذلك- أن يحميها من الدخيل الذى عساه أن يضاف إليها بغير حق.وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت منها."([91])

وجملة القول أن موقف الإسلام من الديانات الحاضرة الموجودة الآن هو أن فيها ما هو صحيح متزل ما الله ﷻ، وما هو غير متزل من الله اخترعها أصحابها من أنفسهم اتباعًا لهواهم، فما هو صحيح من تعليماتهم فالقرآن يصدقها ويؤيدها لما بقى من أجزائها الأصلية، ويصحح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنهاوهذا هو موقف الإنصاف والتبصير الذي يطلب من الإنسان أن لا يقبل أي أمرًا جزافًا، ولا ينكره جزافًا، وأن يصدر دائما عن بصيرة وبينة في قبوله ورده ويقول دراز: "وليس خاصًا بموقفها من الديانات السماوية.بل هو شأنها أمام كل رأى وعقيدة.وكل شريعة وملة، حتى الديانات الوثنية، ترى القرآن يحللها ويفصلها.فيستبقى ما فيها من عناصر الخير والحق والسنة الصالحة، وينحى ما فيها من عناصر الباطل والشروالبدعة."([92])

والآن إذا عرفنا أن الإسلام لا يقر الصورة الحالية لهذه الأديان، فما هو موقفه من الوجهة العملية؟ فهل يقف منها موقف السكوت والإغضاء عنها اكتفاء بالأمر الواقع؟ أم يقف موقف المحارب المقاتل، لا يهدأ له بال حتى يطهر الأرض منها ومن أهلها؟

فالإسلام عند البعض دين عنصري، والمسلم أناني والإسلام هو الدافع لهذه العنصرية والأنانية، ولا يعنيه غيره ممن لا يؤمن كإيمانه، ضل أم اهتدى، سعد أم شقى، ذهب إلى الجنة أم إلى النار. وعند البعض الإسلام يريد أن يسلط نفسه على الناس إكراهًا بالقوة والغلبة، والشريعة تأمرهم بضرب الكافرين أينما وجدوهم.([93])

ولكن حينما ننظر إلى الواقع ونقرأ القرآن نجد أن هؤلاء الذين صوروا الإسلام بهذه الصورة لم يصيبوا لتصويرهم لمعرفة كنه الإسلام، كما يقول دراز: "ليس الإسلام فاترا ولا منطويا على نفسه، كما زعم الأقلون.فالدعوة إلى الحق والخير ركن أصيل من أركان الإسلام.والنشاط فى هذه الدعوة فريضة مستمرة فى كل زمان ومكان.يأمر الله نبيه بتبليغ كلامه، وبأن يبذل جهده فى هذا التبليغ.([94]) يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]، أي بالقرآن. يقول الطبري في تفسيره: "فلا تطع الكافرين فيما يدعونكإليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها."([95])

وفي نفس الوقت القرآن يحرض المؤمنين على هذه الدعوة، فيقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

وهي دعوة بالقول والعمل يقول سيد قطب: "كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء. ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات. فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض، أو بسوء الأدب، أو بالتبجح في الإنكار. فهو إنما يتقدم بالحسنة. فهو في المقام الرفيع، وغيره يتقدم بالسيئة. بل يجعل الفلاح والنجاة وقفا على هؤلاء الدعاة"(.[96])

وجعل الفلاح والنجاة موقوفًا على هؤلاء الدعاة؛ ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]،وقد نزل سورة كاملة في هذا؛ ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ *﴾ [العصر: 1-3]. فليس من طبيعة الإسلام ان يفرض نفسه على الناس بل يعطيهم الحرية الكاملة في اختيارهم بل يحفظ حقوقهم.([97])

يقول دراز: " وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة.فبى الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هي محاولة فاشلة.بل هى مقاومة لسنة الوجود، ومعاندة لإرادة رب الوجود﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : 99]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود : 118]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام : 107]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف : 103]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص : 56] ومثل هذه الآيات تتضافر في هذا المفهوم. ومن هنا نشأت القاعدة الأصولية الإسلامية المحكمة المبرمة فى القرآن الكريم فى حرية المعتقد.﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة : 256] ومن هنا رسم القرآن أسلوب الدعوة ومنهاجها، فجعلها دعوة بالحجة والنصيحة فى رفق ولين. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]،فالإسلام لا يتوقف في هذا الموقف السلبي السلمي، وهو عدم إجبار الناس وإكراههم على الدخول في الإسلام، ولكن يؤدي بنا إلى الأمام، ويرسم لنا نموذجًا للدعوة يرشدنا إلى خطوات إيجابية.

يقول سيد قطب في تفسر هذا الآية المباركة: "على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده بدينه القويم، فالدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

ثم الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب.ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ؛

وأخيرًا الجدل بالتي هي أحسن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه

الكبرياء الحساسة. ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر! ولكي يطمئن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله.(98)

ثم نرى القرآن يوصينا بوصية أمر فيها المؤمنين به إذا استجار أحد من المشركين في ساحة القتال الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك ويطلب منك الأمان، فأجبه إلى طلبه:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: 6]

فلا يكتفى الإسلام بالإيجار بل أمرهم أن يكفلوا لهم الحماية والحراسة والرعاية فى انتقالهم إلى المكان المأمون. ثملا يكتفى الإسلام على تكفل غير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم أو عوائدهم فقط بل يمنحهم من الحرية والحماية، ومن العدل والرحمة قدر ما يمنحه للمسلمين من حقوق العامة «لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ»(99).

وهو دعوة لا تكتفي في تحديد العلاقة بين الأمم الإسلامية وبين الأمم التي لا تدين بدينها، ولا تتحاكم إلى قوانينها. ولا تكتفى فى تحديد هذه العلاقة بأن تجعلها مبادلة سلم بسلم، ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾، [النساء: 90]، بل ندب الإسلام أتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بر ورحمة وقسط وعدل، ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

ونكتفي بما قال نبينا ﷺ في هذا المعنى: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»(100)

بعد هذا العرض لموقف الإسلام من الأديان الأخرى، عرفنا أن الإسلام يراعي وجود الآخرين، الذين لهم اعتقاد غير اعتقاد المسلمين ، ويقر بكيانهم أفراداً ودولاً، يقول الله ﷻ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] وقوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]. ولا سبيل مع غير المسلمين إلا الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والمعاملة القائمة على العدل، هذا هو موقف الإسلام من وجهة العملية فلقد تخطأ بعض حكام المسلمين في التاريخ، وأساءوا إلى المسلمين وغيرهم، فهم ليسوا حجة على الإسلام والمسلمين، بل الحجة القرآن والسنة والخلفاء الراشدين المهديين.

الهوامش

1 استخدم الأستاذ دراز كلمة الاستئناس لبيان ما دونه اللغويون في المعاجم، وعلله بما فيها من الصعوبة التي يعانيها الباحثون أو -في كلمات الأستاذ- المزاولون لهذه المعاجم في استنباط المعاني المحدودة. رغم ذلك يبرر الأستاذ أصحابَ هذه المعاجم بأنها وضعت لضبط الألفاظ، لا لتحديد المعاني، وأن مهمتها هي لتقويم اللسان، لا تثقيف الجنان. انظر: محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (كويت: دار القلم، د.ط. د.ت)، ص28-29.

2 انظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط.، 1399هـ/1979م)، ج2، ص119.

3 هذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج20، ص77، رقم1384 وفي المعجم الأوسط، ج9، ص163، رقم9428. قال نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م)، ج11، ص285، رقم18408: "رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم وعطاء بن السائب اختلط".

4 هذا الأثر أخرجه أبو الحسين يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن، ابن الشجري في الأمالي الشجرية، تحقيق: محمد حسن محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج1، ص436 بسنده عن هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الختلي يقول: إنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: "لولا أنكم تسبون السلطان لسلط الله عليهم نارًا من السماء فلا تسبوهم، وإن كنتم لا بد فاعلين فقولوا: اللهم دنهم كما يدينونا".

5 هذا الحديث أخرجه أبو عيسى محمد بن عيس بن سورة الترمذي في سننه، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج4، ص638، رقم2459 بسنده بلفظ عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله» وقال: "حسن".

6 هذا الحديث تقدم تخريجه.

7 هذا الحديث أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، كتاب المناسك، باب العمرة، ج1، ص608، رقم1987. وحسنه الألباني.

8 انظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف، ط1، 1344هـ)، ج2، ص305-306؛ ومحمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة: دارالمعارف، د.ط. د.ت.)، ج15، ص1469-1470؛ ومجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م)، ج1، ص1198.

9 وصف الأستاذ دراز هذه الظاهرة بأنه من يرجع إليها في صدد كلمة الدين يضل في بيداء، ويخيل إليه أن هذه الكلمة الواحدة يصح أن تستعمل فيما شئت من المعاني المتباعدة المتناقضة. انظر: دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص30؛ وأحمد عبد الرحيم السايح، بحوث في مقارنة الأديان الدين- نشأته- الحاجة إليه، (الدوحة: دار الثقافة، د.ط.، د.ت.)، ص17-18؛ ومحمود بن الشريف، الأديان في القرآن، (المملكة العربية السعودية: شركة مكتبات عكاظ، ط5، 1404هـ/1984م) ص20.

10 أبو الأعلى المودودي، قرآن كي چار بنيادي اصطلاحين: اله، رب، عبادت اور دين (المصطلحات الأربعة في القرآن) (لاهور، پاكستان: اسلامک پبليشر، ط3، 2000م)، ص25.

11 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص319.

12 انظر: دراز، الدين، ص30-31.

13 محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ/1985م)، ص94-95.

14 انظر: دراز، الدين، ص31.

15 See: Sir James G. Frazer *The Golden Bough, A Study in Magic and Religion*, vol, I, p. 50, Abridged Edition, London, 1947. (There is probably no subject in the world about which opinions differ so much as the nature of religion, and to frame a definition of it which would satisfy everyone must obviously be impossible. All that a writer can do is, first, to say clearly what he means by religion, and afterwards to employ the word consistently in that sense throughout his work.)

16 انظر: السايح، بحوث في مقارنة الأديان الدين- نشأته- الحاجة إليه، ص27-24.

17 انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، (مصر: كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1420هـ/1999م) ج2، ص692.

18 انظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، ج29، ص529.

19 انظر: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، (قم: دار الكتاب الإسلامي، د.ط.، د.ت.)، ج1، ص5.

20 أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي شهاب الدين المكي الشافعي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، تحقيق: لجنة من العلماء، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ط.، 1983هـ/1357م) ج1، ص20.

21 شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط.، 1285هـ)، ج1، ص413.

22 علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/1983م)، ج1، ص105. ونقله الزبيدي عن ابن الكمال. انظر: الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج35، ص56.

23 أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ/1998م)، ص443.

24 محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، (بيروت: دار النفائس، ط2، 1408هـ/1988م)، ص212.

25 محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط.، 1984هـ)، ج3، ص188.

26 انظر: دراز، الدين ، ص52.

27 سيسرون (Marcus Tullius Cicero) كان فيلسوفًا رومانيًا، ورجل دولة، محاميًا، خطيبًا، سياسيًا، قنصلاً رومانيًا ودستوريًا، عرّف مدارس الفلسفة اليونانية للرومانيين، واخترع المفردات اللاتينية الفلسفية، ويعد نفسه لغويًا، مترجمًا، وفيلسوفًا. ولترجمته انظر:

Rawson, Elizabeth, *Cicero, a portrait* (Bristol Classical Press, Jan 12, 2007) and H.J. Haskell, This was Cicero, (Knopf, 1964)

28 انظر: دراز، الدين، ص34. la religion est le lien qui uni l'homme à dieu (Ciceron, de Leribus, I, XV).

29 كانت (Immanuel Kant) فيلسوف من القرن الثامن عشر، مؤثر في أوروبا الحديثة في التسلسل الكلاسيكي لنظرية المعرفة خلال عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين جون لوك، جورج بركلي وديفيد هيوم. وانظر:

Crane Brinton. "Enlightenment". *Encyclopedia of Philosophy*. Vol. 2, p. 519. Macmillan, 1967.

30 انظر: دراز، الدين، ص34.

"La religion est le sentiment de nos devoirs en tant que fondés sur les commandements divins (Kant), la religion dans les limites de la raison, 4ème partie, 1ère section"

31 شاتل هو فرديناند فرانسوا شاتل (Ferdinand-François Châtel)، كاهن كاثوليكي فرنسي، ومصلح ديني، وكان متعاطفًا للاشتراكية ومن المؤسسين لها، ولترجمته انظر:

G. Rougeron, *FF The Abbé Châtel, heresiarch of the nineteenth century and founder of the "French Catholic Church",* in "The Magazine Dolciniana", 8, 1996

32 انظر: دراز، الدين، ص34.

"La religion est la collection des devoirs de la créature envers le créateur : devoirs de l'homme envers dieu, envers la société et envers lui-même (abbé Chatel : Code de l'humanité, Chapitre V)."

33 هربرت سبنسر (Herbert Spencer) هو فيلسوف بريطاني، ويعد واحدا من مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وأحد أكبر المفكرين الإنجليز تأثيرا في نهاية القرن التاسع عشر. لترجمته انظر:

Duncan, David. *The life and letters of Herbert Spencer* (1908) and Elliot, Hugh. *Herbert Spencer*. London: Constable and Company, Ltd., 1917

34 انظر: دراز، الدين، ص34.

"la croyance en un pouvoir dont on ne peut concevoir les limites dans le temps ni dans l'espace est l'élément fondamental de la religion (Robert spencer, premiers principes)."

35 تايلور هو إدوارد بيرنت تايلور (Edward Burnett Tylor) أنثروبولوجي إنجليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجيا وتطور الاهتمام بذلك العلم. ولترجمته انظر:

Lowrie, Robert H. (1917). "Edward B. Tylor", *American Anthropologist,* New Series Vol. 19, No. 2. (Apr.– Jun., 1917), pp. 262-268. And R. R. Marett, *Tylor* (London: Chapman and Hall, 1936)

36 انظر: دراز، الدين، ص35.

"la religion est la croyance en des êtres spirituels (taylor, civilisations primitives, Ch. XI)."

37 ماكس مولر (Friedrich Max Müller): كان عالماً ألمانيًا اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة. أسهم في الدراسة المقارنة في مجالات اللغة والدين وعلم الأساطير. ولترجمته انظر:

B. Hancock Müller biography at Gifford Lectures website. http://www.giffordlectures.org/Author.asp? Author ID=127,

38 انظر: دراز، الدين، ص35.

"la religion est la croyance en des êtres spirituels (taylor, civilisations primitives, Ch. XI)."

39 إميل هو إميل لويس برنوف (Émile-Louis Burnouf) كان رائد المستشرقين في القرن التاسع عشر والمستشرق السلالي الذي أثرت أفكاره على تطور التصوف والآري كان أستاذًا في الحقوق ومؤلفًا لقاموس اللغة السنسكريتية الفرنسية. ولترجمته انظر:

Buckland, Charles Edward, Dictionary of Indian biography (London S. Sonnenschein 1906),63.

40 انظر: دراز، الدين، ص35.

la religion est un acte d'adoration; est l'doration est à la fois un acte intellectuel par lequel l'homme reconnaît une puissance supérieure, et un acte d'amour par lequel il s'adresse à sa bonté (Emile Burnouf, Science des Religions, Ch. XII).

41 ألبرت ريفيل (Albert Réville) هو عالم متميز لاهوتي بروتستانتي فرنسي، وهو معروف عن وجهات نظره المتطرف وليبرالي، وكذلك هو معروف بأنه أول شخص من "المثقفين" انضم إلى القضية Dreyfusard عندما اندلعت قضية دريفوس في 1890، ولترجمته انظر:

Ivan Stresnki, *Theology and the First Theory of Sacrifice* (2003), ch. 3.

42 انظر: دراز، الدين، ص35.

"la religion est la détermination de la vie humaine par le sentiment d'un lien unissant l'esprit humain à un esprit mystérieux dont il reconnaît la domination sur le monde et sur lui-même, et auquel il aime à se sentir uni. (Reville, prolégomènes à l'histoire des religions)."

43 هوجان-ماري جويو (Jean-Marie Guyau) فيلسوف فرنسي وشاعر. تأثر بفلسفات إبيكوروس أبكتاتوس، أفلاطون، كانت، هربرت سبنسر وغيرهم ، وفي الشعر والأدب تأثر بيار كورناي، وفيكتور هوغو، والفريد. أما أعماله فهي موجهة أساسا نحو تحليل نقدية للفلسفة الحديثة، ولا سيما الفلسفة الأخلاقية. ولترجمته انظر:

Agaost BjarnasonAgust Bjarnason, Jean-marie Guyau: En Fremstilling Og En Kritik Af Hans Filosofi, BiblioBazaar, 2008 and Frank James William Harding, Jean-Marie Guyau, 1854-1888, aesthetician and sociologist: A study of his aesthetic theory and critical practice, Librairie Droz, 1973.

44 انظر: دراز، الدين، ص36.

la religion est un sociomorphisme universel. Le sentiment religieux est le sentiment de dépendance par rapport à des volontés que l'homme primitif place dans l'univers. (Guyau, irréligion de l'avenir. p. 1-3).

45 انظر: دراز، الدين، ص36. هو كاتب فرنسي كتب في التعليل والعقل. وله كتب في العقيدة ومفهوم الدين، يكتب بالفرنسية، ولم يترجم له في اللغة غير الفرنسية. أما كتبه منها:

Le monothéisme ou la vérité religieuse: conférences, Leçons sur l'histoire sainte, Histoire d'une république sans républicains

46 انظر: دراز، الدين، ص36.

la religion, … "c'est la part de l'idéal dans la vie humaine" , (sylvain périssé, science et religion, ch. 1).

47 وكانسالومون رجناك (Salomon Reinach) عالم الآثار الفرنسي. وشقيق رينش يوسف، ولد في سان جيرمان أونلي وتلقى تعليمه في مدرسة المعلمين العليا قبل أن ينضم الى المدرسة الفرنسية في أثينا في واكتشف الأثرية القيمة في أماكن مختلفة. ولترجمته انظر:

Encyclopædia Britannica Online, s. v. "study of religion," accessed February 09,2012 http://www.britannica.com/EBchecked/topic/497151/study-of-religion

48 انظر: دراز، الدين، ص36.

"la religion : " un ensemble de scrupules qui font obstacle au libre exercice de nos facultés". (Salmon Reinach, Orpheus : Hist. géné. Des religions p. 4).

49 إميل دوركايم فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. يعتبر أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. ولترجمته انظر:

Excerpt from Robert Alun Jones. *Emile Durkheim: An Introduction to Four Major Works*. Beverly Hills, CA: Sage Publications, Inc., 1986. Pp. 12-23.

50 دراز، الدين، ص36.

Lukes, Steven. *Emile Durkheim: His Life and Work, a Historical and Critical Study.* Stanford University Press. andBellah, Robert N. (ed.). *Emile Durkheim: On Morality and Society, Selected Writings*. Chicago: The University of Chicago Press

51 انظر: دراز، الدين، ص37-38.

52 انظر: المصدر السابق، ص40-52.

53 انظر: جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط.، 1978م)؛ ص7. نقلًا عن: هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، (بيروت: دار التنوير، ط1، 1983، والقاهرة: دار الثقافة ط2، 1985، ج2، ص 47-48؛ وولتر ستيس، الزمان والأزل مقال في فلسفة الدين، ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم، ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، بيروت:المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر 1968)،ص 45.

54 انظر: يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1399ه/1979م) ص205.

55 انظر:جمال الدين الأفغاني، الرد على الدهريين، (قاهرة: دار كرنك، د.ط. د.ت.)، ص101.

56 انظر: دراز، الدين، ص98-99.

57 المصدر السابق

58 المصدر السابق

59 المصدر السابق

60 القرضاوي، الإيمان والحياة، ص207.

61 دراز، الدين، ص101-102.

62 دراز، الدين، ص97_98.

63 المشير أحمد عزت باشا، الدين والعلم، الترجمة: حمزة طاهر والمراجعة: عبد الوهاب عزام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط.، 1367ه/1948م)، ص173-174.

64 انظر:

J.c. Polkinghorne, F.R.S., A Revived Natural Theology (Science and religion: one world-changing perspectives on reality) p,apers presented at the Second European Conference on Science and Religion, March 10-13, 1988, University of Twente p96. And Nancy K. Frankenberry, The Faith of Scientists: In Their Own Words,(Princeton University Press, 2009)

65 انظر: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى: مدخل إلى الإيمان، تعريب: دكتور ظفرالإسلام خان، (نيو دلهي: Goodword Books Pvt. Ltd. د.ط.، د.ت.)، ص248.

66 المصدر السابق: ص250. وانظر:

Michael Brecher, *Nehru: A Political Biography* (Boston: Beacon Press, 1962),p 235,

67 انظر: يوسف القرضاوي، الدين في عصر العلم، (عمان: دارالفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1417ه، 1996م)، ص65-72.

68 المصدر السابق: ص72-73.

69 أشير به إلى إيرنست جونز (1879 - 1958م)، وهو طبيب بريطاني ساعد في إدخال قواعد التحليل النفسي في الولايات المتحدة و بريطانيا وكندا.. كان صديقًا ومساندًا قويًا لفرويد، مطوّر التحليل النفسي ليكون أسلوبًا لمعالجة الأمراض العقلية، وتعد السيرة التي كتبها جونز (1953 - 1957م) عن حياة فرويد وعمله ــ وهي في ثلاثة مجلدات ــ من أوثق المراجع عن فرويد. (انظر: الموسوعة العربية العالمية)

70 نور الدين أبو لحية، رحمة للعالمين، (القاهرة: دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ط.ت.)، ص118-119.

71 القرضاوي، الدين في عصر العلم، ص74-75.

72 المصدر السابق: ص76

73 يحكون أنه اغتال الملك، فكان جزاؤه أن يربط من يديه ورجليه إلى أربعة من الجياد، ثم ألهب ظهر كل منها، لتتجه مسرعة، كل واحد منها إلى جهة من الجهات الأربع، حتى مزق جسمه شر ممزق! هذا التمزق الجسمي البشع مثل للتمزق النفسي الذي يعانيه من يحيا بغير دين، ولعل الثاني أقسى من الأول وأنكى في نظر العارفين المتعمقين، لأنه تمزق لا ينتهي أثره في لحظات، بل هو عذاب يطول مداه، ويلازم من نكب به طول الحياة. المصدر السابق: ص76.

74 المصدر السابق: ص78-79.

75 هناك ملاحظات قيمة حول آراء الفلاسفة الميالين إلى الإنكار في ظهور الأديان في حاشية كتاب "الدين والعلم". انظر: عزت باشا، الدين والعلم، ص254-262. وانظر: ناصر بن عبدالله القفاري وناصر بن عبدالكريم العقل، الموجز في

الأديان والمذاهب المعاصرة، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1413ه، 1992م)، ص14-16.ومن يريد مزيد من التفصيل لبطلان نظرية التطور فليرجع إلى:

Gilbert C. Ward,Evolution Is a Myth, (WestBow Press, 2010.) and Donald A. McWilliams,(Plycon Press, 1973)

76 أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي في صحيحه، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422ه)، باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ [مريم: 16]، رقم الحديث:3443، ج4، ص167

77 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2،1420ه/ 1999م)، ج3، 129. و انظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود و زكريا عبد المجيد النوتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413ه، 1993م)، ج1، ص441؛ و محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوي"، تحقق : عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط1، 1420ه)، ج2، ص58؛ و جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422ه)، ج1، ص555؛ و أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384ه/ 1964 م)، ج6، 211؛

78 انظر: البخاري، في صحيحه، باب خاتم النبيين ﷺ، رقم الحديث:3535. ج4،ص186.

79 انظر: دراز، محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسةتاريخ الأديان،ص175-176.

80 انظر: المصدرالسابق: ص175.

81 انظر: المصدر نفسه، وانظر: محمد عادل التريكي، الإسلام والأديان الأخرى، (الحوار المتمدن -العدد: 2811 - 2009 / 10 / 26 - 13:12)

82 انظر:خلاف، علم أصول الفقه، ص15 وانظر كتابه "علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، (مصر: مطبعة المدني «المؤسسةالسعودية بمصر، د.ط، دت.)، ص16؛ و مناع بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، (مصر: مكتبة وهبة، ط5، 1422ه/2001م) ص400.

83 دراز، محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسةتاريخ الأديان، ص177

84 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420ه/2000م)، ج10، ص377.

85 أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي،أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،د.ط.، 1405ه)، ج4، ص97.

86 أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمي بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود و زكريا عبد المجيد النوتي، (بيروت: دارالكتب العلمية، ط1، 1413ه، 1993م)،ج1، ص441.

87 الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص371.

88 ابن عاشور التونسي، تفسير التحرير والتنوير، ج6، 221.

89 محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، ط1، 1997م)، ج4، ص180.

90 وقد أنشأ دراز هناك السؤال وهو أنه يحق للسائل أن يسأل: أليست قضية هذا التصادق الكلى بين الكتب السماوية أن تكون الكتب المتأخرة إنما هي تجديد، للمتقدمة وتذكير بها، فلا تبدل فيها معنى، ولا تغير حكما.وإلا فكيف يقال: إنما تصدق إلخ بينما هي تبدل وتعدل؟وإذا كان من قضية التصادق الكلى بين الكتب ألا يغير المتأخر منها شيئا من المتقدم فهل الواقع هو ذلك؟ وقد أجاب هذا السؤال بنفسه بأن الواقع ليس كذلك، فقد جاء الإنجيل بتعديل بعض أحكام التوراة.إذ أعلن عيسى أنه جاء ليحل لبنى إسرائيل بعض الذى حرم عليهم (الأعراف: 157) وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة.إذ أعلن أن محمدا جاء ليحل للناسكل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. ولكن يجب أن يفهم هذا وذاك، لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم، ولا إنكارا لحكمة أحكامه فى إبانها.وإنما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب، وأجلها المقدر.فكل الشرائع السماوية صدق وعدل فى جملتها وتفصيلها، يصدق بعضها بعضا من ألفها إلى يائها، ولكن هذا التصديق على ضربين: 1- تصديق القديم مع الإذن ببقائه واستمراره. 2- وتصديق له مع إبقائه فى حدود ظروفه الماضية. وذلك أن الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات: 1 ــ " تشريعات خالدة" لا تتبدل بتبدل الأصقاع والأوضاع "كالوصايا التسع " ونحوها. فإذا فرض أن أهل شريعة سابقة تناسوا هذا الضرب من التشريع جاءت الشريعة اللاحقة بمثله " أي أعادت مضمونه تذكيرا" وتأكيدا له. 2 ــ وتشريعات موقوتة، بآجال طويلة أو قصيرة. فهذه تنتهى بانتهاء وقتها وتجئ الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة، وهذا ــ والله أعلم ــ هو تأويل قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ولولا اشتمال الشريعة السماوية على هذين النوعين ما اجتمع فيها العنصران الضروريان لسعادة المجتمع البشرى.1 ــ عنصر الاستمرار الذى يربط حاضر البشرية بماضيها.2 ــ وعنصر الإنشاء والتجديد، الذى يعد الحاضر للتطور والرقى اتجاها إلى مستقبل أفضل وأكمل. انظر للأمثلة: دراز، محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسةتاريخ الأديان، ص177-180.

91 دراز، محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسةتاريخ الأديان، ص181.

92 المصدرالسابق: ص 181-182.

93 يقول المنسينيور كولي في كتابه" البحث عن الدين الحق " مصورًا الإسلام على هذا النحو: "الإسلام: في القرن السابع للميلاد، برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب. ووعد الذين يهلكون (يستشهدون في سبيل الله) في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات (الجنة).وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وإسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا. لقد أصيبت المدنية.ويقول و. س. نلسون W.S.Nelson: "وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعبا بعد شعب" وفي وصف المسلمين يقول هنري جيسب Henry Jessup المبشر الأمريكي: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ... إنهم لصوص، وقتلة، ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم» (4)، كما يقول في وصفهم ج وليمين H. Guillimain في كتابه " تاريخ فرنسا ": «إن محمدا، مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو ، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم.انظر:محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، (القاهرة: مطبعة الأزهر، د.ط.، د.ت.)، ص7-10.

94 دراز، محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسةتاريخ الأديان،، ص182.

95 الطبري،جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص281.

96 انظر: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ط7، 1412 ه)، ج5، ص3121.

97 انظر: فهد محمد على المسعود، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزائية وتطبيقاتها في المملكة العربية والسعودية،(رسالة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض،1424ه/2003م)، ص73-113؛ وانظر: صالح بن حسين العايد،حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط4، 1429ه/2008م)، ص13-74.

98 سيد قطب: في ظلال القرآن، ص4، 2202.

99 أخرجه أبو داؤود، في صحيحه، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد،(بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1418ه/1997م)، ج3، ص72. وأخرجه البخاري تعليقًا، انظر: البخاري، (109/1) في كتاب الصلاة باب استقبال القبلة، والنسائي في كتاب الإيمان باب على ما يقاتل الناس، رقم الحديث:5006، وفي كتاب تحرير الدم، (75/7).

100 انظر:أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي في صحيحه،كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج3، ص193، رقم الحديث: 2731.